وهي محاضرات ألقاها الأستاذ الفاضل الدكتور أنيس فريحة على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة، وطبعها المعهد المذكور في (٩١) صفحة.

وقد خص الأستاذ فيها موضوعين أساسيين وهما علم اللغات ودراسة اللهجات؛ وبحث عن صلتهما بلغتنا العربية؛ ثم تكلم على الأسس التي قامت عليها اللهجة اللبنانية، وذكر عبارات عامية لبنانية منثورة ومنظومة.

وفي المحاضرات آراء طريفة تفيد الذين يعنون بمواضيع اللغة العربية. وفيها تشاؤم من صعوبة الفصحى، وظنون بفوائد العامية لا نعتقد بصحتها.

ولنترك هذه المحاضرات المعتنى بها، والدالة على فضل صاحبها، والتي لا يجوز في اعتقادنا أن ينظر اليها والى أشباهها إلا نظرة علمية بحتة، ولنتساءل هل من فائدة للفصحى في تعليم اللهجات العامية في مثل المعهد المشار اليه أم لا؟

لقد كتب العلامة ساطع الحصري مدير المعهد مقدمة للمحاضرات توخى أن يثبت فيها فائدة القرار الذي اتخذه المعهد بإدخال دراسة «اللهجات العربية الحالية» في جملة برامجه. وقال ان الغاية القصوى من هذه الدراسة الكشف عن أنجع السبل المؤدية الى جعل لغة الضاد «موحَّدة وموحِّدة» في جميع البلاد العربية، أي أن تكون لغة أمتنا العربية واحدة، وأن تكون أكبر أداة لتوحيد الشعوب العربية في أمة واحدة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعندما يتكلم الأستاذ الحصري أبو خلدون في مثل هذا الموضوع فهو لا يعوزه الرأي الحصيف ، ولا الفكر العميق ، ولا قوة الإقناع ، ولا الإخلاص فيما يعتقده أو يدعو اليه .

ولكنني على الرغم من تلاوة مقدمته غير مرة لم أقتنع بصحة قرار المعهد . وقد يكون السبب عدم اختصاصي بشؤون التربية والتعليم ، أو فرط تعصبي للفصحى ، أو شدة خوفي من طغيان اللهجات العامية .

ومهما يكن من أمر فقد حاولت في الكلمات التالية الإفصاح عن رأيي في هذا الموضوع الهام آملاً أن تبرز لنا الخطة المثلى من طيات الآراء المختلفة :

فاللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات . وكلها اليوم لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى الألفاظ . فهي كلام العامة يُستعمل في الأغراض المعاشية ، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض . وهذا الكلام وقتي لا يثبت على مرور الأيام ، وموضعي لا يتحول من قطر عربي الى قطر عربي آخر .

ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة . وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً ، ولا أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة . وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصوراً في قطره ، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر ، أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر .

فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ، ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة وألقيناها محاضرات أو دروساً على طلاب ، فماذا تكون مغبة هذا العمل ؟

إن أخشى ما نخشاه أن يستهوي هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب ، فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها ، فتكون النتيجة تشويشاً وضرراً يباعد بعض الأقطار العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن بعض ، بدلاً من أن تتوحد بلغتها ، أي تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقعه المعهد من تدريس اللهجات العامية ، وهو خدمة الفصحى .

أما القول بأن تدريس تلك اللهجات يفضي الى معرفة مشكلات الفصحى ، والى مداواة أدوائها ، فهو قول ضعيف في نظرنا .

فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها بإخلاص ونشاط وصبر ومثابرة . وأهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ، وتبسيط قواعد الكتابة والإعراب والصرف والنحو ، وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفية والنحوية .

وجميع هذه الأمور الشائكة يعرفها علماؤنا الأثبات ، ولا علاقه لها باللهجات العامية وقواعدها وتدريسها . والذي أعرفه أن مجمع اللغة العربية في مصر قد عالج قضية تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وقدم فيها اقتراحات الى وزارة المعارف [1] . وقد طال عليها الزمن وهي في الوزارة . والمأمول أن تقرها حكومة الثورة ، فتؤلف على أساسها كتب جديدة مبسطة في تلك العلوم .

ومن الطبيعي القول بأن هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتها ، وأنها ستظل صعبة في نظر بعض الناس . ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التي تذهب الى جعل التبسيط تشويهاً للفصحى .

وأنا لا أنكر الفوائد التي يمكن الحصول عليها من دراسة بعض خصائص اللهجات العربية . ولكن هذه الدراسة لا يضطلع بها إلا علماء أثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم ، وكيف يقربون العامية منها ، وكيف يمنعون طغيان العامية عليها .

فالمرحوم الشيخ أحمد رضا العاملي مثلاً قد أفاد بمعجمه النفيس «ردّ العامي الى الفصيح» . وكذلك أفاد المرحوم أحمد تيمور في معالجته لأصول الألفاظ

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ج ٦ ص ١٨٠ – ١٩٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العامية المصرية . ومما فيه فائدة أيضاً أن يقر مجمع مصر بعض ألفاظ عامية سائغة ، وأن تُنشر كتب وصحف وإذاعات بلغة عربية سهلة صحيحة الخ .

ولكن هذه الأمور وأمثالها شيء ، ووضع قواعد للهجات العامية ، والكتابة بها ، وتعليمها لشبان معهد عربي شيء آخر . فالأول لا ضرر فيه ، بل فيه بعض الفوائد . أما الثاني ففوائده القليلة لا تقاس بأضراره الجمة ، وإن يكن طلاب معهد الدراسات العربية من حاملي الليسانس .

وبعد ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية وتدريسها للطلاب ، بل تحل بوسائل أخرى منها تيسير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها ، ومنها على الأخص نشر التعليم في سواد الشعوب العربية ، ومنها فرض التكلم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ في جميع المدارس ، الى غير ذلك من الوسائل التي هي خارجة عن نطاق أعمال المعهد .

ولولا الخوف من أن أتهم بالتعصب لقلت ان من واجب الحكومات التي تغار على لغتها القومية ان تمنع المطابع من طبع كتب أو رسائل بالعامية ، وان تمنع التكلم بها في المدارس والمسارح ومحطات الإذاعة ، حتى في دوائر تلك الحكومات [1] .

(١) بعد كتابة هذه الكلمات زارني الدكتور الفاضل عزة النص ، أحد اساتذة المعهد ، وأنبأني أن قرار دراسة اللهجات العامية كان قد اتخذ إبان افتتاح المعهد ، أما اليوم فقد صُرف النظر عن هذا الموضوع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net